المجمع **12** (2017/1438)، 213-248

المناظرات في الأدب الأمويّ

محمد دوابشة*

تلخيص:

ينهض هذا البحث بدراسة المناظرات في عصر بني أمية من حيث أسبابها ودوافعها وأنواعها، وقد وقف الباحث على المناظرات لغة واصطلاحا ثم عرج عليها في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام، وبين أن بعضها كان إرهاصات للمناظرات التي برزت في عصر بني أمية وأعطت ثمارها– في العصر العباسي- فيما بعد، وبعضها الآخر–رغم قلتها-كان مماثلا لمناظرات العصر العباسي من حيث الخصائص الفنية والأسلوبية؛ كما بين الباحث أن ظهور هذه المناظرات في العصر الأموي يرجع إلى الخلافات الفكرية وظهور الفرق الدينية، وكان معظم هذه المناظرات يدور حول الأحقية بالخلافة وبخاصة بين الأمويين وغيرهم، وقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي كونه أقرب المناهج لدراسة مثل هذا الموضوع.

الكلمات الدليلية: المناظرة–الأدب الأموي– المناظرة الأدبية-المناظرة السياسية–المناظرة الدينية.

المناظرة في اللغة والاصطلاح:

بلغت المناظرات ذروتها الفنية في العصر العباسي، ولم تكن وليدة عصرها، وإنما كانت هناك إرهاصات منذ العصر الجاهلي فالإسلامي، وظلت بين مد وجزر إلى أن وصلت العصر العباسي فاستقرت أصولها الأدبية والفنية. وبالرجوع إلى معاجم اللغة العربية نجد أن لفظ المناظرة مصدر على وزن مفاعلة، ووزن مفاعلة يدل على التشارك بين طرفين أو أكثر، ورد في" تهذيب اللغة: "المناظرة مفاعلة من نظر، والنظر حسي ومعنوي، فهو حس العين وتأمل الشيء بالعين (الأزهري: مادة نظر) قال الزبيدي: "والنظر أيضا تقليب البصيرة؛ لإدراك الشيء ورؤيته ويراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص (الزبيدي: مادة نظر)، والمناظرة مأخوذة من النظر بالعين بمعنى الإبصار، ومن كمالها رؤية كل مناظر لصاحبه، ومأخوذة من النظر بالقلب، بمعنى: إعمال الفكر، قال تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ

* عميد كلية الآداب – الجامعة العربية الأمريكية، فلسطين.

كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ (18)﴾ (سورة الغاشية: آية 18-17) أما صاحب اللسان فيقول: ناظر فلان فلانا: صار نظيرا له في المخاطبة. وناظر فلانا بفلان: جعله نظيره. وتناظرا: تقابلا، والمناظرة: المثل والشبيه في كل شيء. والمناظرة: أن تناظر أخاك في أمر، إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه، وهي المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته (ابن منظور، مادة نظر)، فالمناظرة ربما تكون مأخوذة من النظير، وهو الشخص الذي يقابل المناظر فيكون مماثلا ومكافئا له، فيساويه في الأمر الذي تتم الموازنة بينهما فيه. وفي صيغة فاعل ما يدل على المشاركة. وربما تكون مأخوذة من النظر بمعنى الانتظار قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة الحجر: آية 36)". فالنظر من حيث الدلالة اللغوية قد يقع على الأجسام والمعاني، فما كان من البصر فهو للأجسام وما كان من البصائر كان للمعاني.

أما المناظرة اصطلاحا فهي عند الجرجاني "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب" (الجرجاني، 1987م: 287)، "وهي الكلام بين شخصين حول موضوع، يقصد كل منهما إثبات وجهة نظره، وإبطال وجهة نظر صاحبه، مع رغبته الصادقة في ظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره" الألمعي، 1400هـ، 24"، ولا تبتعد تعريفات المحدثين عما ذكره القدماء، فقد عرفها عبد الرحمن الميداني بقوله "هي المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر (الميداني، 1975م: 373)، ويعرفها أحمد الشايب بأنها "ضرب من الكلام يشترك فيه اثنان على الأقل، يسعى كل منهما إلى إثبات رأيه وإبطال رأي خصمه بالحجة والبرهان، ويتناول المسائل العلمية والسياسية والاجتماعية والفلسفية وغيرها (الشايب، 1988 م: 99-100). إن التعريفات المذكورة تجمع على توفر شرطين أساسيين في المناظرة: أحدهما، وجود طرفين اثنين على الأقل، يسعى كل منهما إلى إبطال فرضية الآخر وإثبات فرضيته هو بالحجج والبراهين المقنعة، والآخر، سعي الطرفين الخصمين إلى الكشف عن الحقيقة الموضوعية وليس النسبية التي يعتقد كل منهما امتلاكها (الصديق، 2000، 60-61).

المناظرة وتحديد المصطلحات:

يدخل مصطلح المناظرة مع مجموعة من المصطلحات القريبة منه في معناه مثل: المجادلة والمفاخرة والمنافرة والمناقضة، وبعضهم يطلق إحداها في موضع الأخرى أو يستخدمها بمعنى واحد، قال المرتضى: "اعلم أن أجوبة المحاورة والمناظرة إنما تستحسن وتؤثر إذا جمعت مع الصواب سرعة الحضور (المرتضى، 2004م: 274/1)، ويقول أحمد أمين: "فرأيناهم يتناظرون في المساجد وفي حلقات الدرس وفي المنازل... وملئت الكتب بهذه المناظرات والمجادلات (أمين، 1965 م: 168/2). وشوقي ضيف تارة يقول مناظرة وأخرى يقول مجادلة (ضيف، 1975م: 457)، لذلك سنتتبع باختصار معنى كل مصطلح وبيان علاقته بالآخر؛ لمعرفة ما إذا كانت هذه المصطلحات تؤدي جميعا المعنى ذاته؟ وما الذي أدى إلى إحداث هذا التداخل بينها؟

وفي المناظرة التي تقع بين اثنين كل منهما له رأي مخالف لرأي صاحبه، لا بد أن يقوم كل منهما بنقض ما قاله الآخر وإبطال رأيه ودحض حجته، وهنا تلتقي المناظرة مع النقيضة، ولذلك يمكن- في هذا الجانب- عدّ النقائض أو في جزء منها مناظرات؛ لتشابه المعاني اللغوية والاصطلاحية بينها. إن جميع المصطلحات المذكورة جاءت على صيغة (مفاعلة)، التي تدل على المشاركة في عمل واحد بين شخصين اثنين على الأقل، مما يولد بينهما تفاعلا في الآراء وأحيانا تنازعا من أجل تحقيق الغرض، فضلا عن أن هذه المصطلحات تقوم على الحوار بين الثنائيات لا سيما الضدية، وهو ركن أساسي من أركان كل منهما، ولعل هذا التشابه في الإطار العام أدى إلى التباس بعضها ببعض واستعمال كل منها مرادفا للأخرى.

شروط المناظرة وآدابها:

تناولت المناظرة كثيرا من الموضوعات في العصر العباسي وأمست فنا نثريا له أصوله وقواعده، ووضعت العديد من المؤلفات في آداب الجدل والمناظرة، وقد ذكر ابن النديم في كتابه "الفهرست" أسماء بعض منها، مثل: "صناعة الجدل " لقدامة بن جعفر، و"آداب المتكلمين" لضرار بن عمرو المعتزلي، و"أدب الجدل "لابن الراوندي. وغيرها (ابن النديم، 1969: 209، 300، 302، ولكنها غير موجودة، ويبدو أنها ضاعت مع ما ضاع من التراث، ولذا

سنستضيئ بما ورد في المصادر الأخرى من ملاحظات وعناوين جانبية تتعلق بالموضوع، علما أنها تسعف الباحث في جوانب وتخونه في أخرى، ومنها: باب "أدب الجدل" الذي عقده ابن وهب الكاتب في كتابه "البرهان في وجوه البيان"، ومجموعة الشروط التي أوردها الراغب الأصبهاني في كتابه "محاضرات الأدباء" وشروط المناظرة المثالية التي أوردها الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين". نلاحظ من استقراء ما ورد في الكتب التي تحدثت عن المناظرة أنها تقوم على دعامتين أساسيتين: أولاهما، دعوة المتناظرين إلى طلب الحق والإذعان له في حال ظهوره ولو كان ذلك من كلام الخصم. فقد استهل ابن وهب الكاتب باب "أدب الجدل "بقوله: "وهو أن يجعل المجادل قصده الحق وبغيته الصواب" (الكاتب، 1969 م: 188).

واشترط أحد المتكلمين على مناظره أن يبني كل منهما مناظرته "على أن الحق ضالته والرشد غايته" (الأصبهاني، 1961م: 78/1)، فرأس آداب المناظرة التزام طرفيها في البحث عن الحقيقة المطلقة، وعلى المناظر ألا يستشعر الأنفة من الرجوع عن رأيه إن كان الحق من نظيره؛ لأنه "كناشد ضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه" (الغزالي، د. ت: 44/1)، ثم ليس هناك ما يدعو إلى الخجل، إذا تبين للمجادل قصور رؤيته في مسألة ما وطلب الرجوع عنها، بل إن الإصرار على المكابرة والتعنت في الخطأ هو ما يوجب الخجل. قال الشعبي: " إني لأستحيي أن أعرف الحق فلا أرجع إليه (الأصبهاني، 1961م: 75/1). وثانيها، تحذير المتناظرين من الإعجاب بالرأي وما تسوّل به النفس (الأصبهاني، 1961م: 78/1)، فالإعجاب ضد الصواب ومنه تقع العبثية، ذلك أن النفس الإنسانية مجبولة على الترفع بإظهار العلم والفضل وحب الغلبة وكراهية الهزيمة، لذا اشترط الإمام الغزالي "أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين، فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق، وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء، ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقاً كان أو مبطلاً (الغزالي، د. ت: 44/1). كما نهى الأصبهاني المتناظرين عن الشغب وإحداث الجلبة (الأصبهاني، 1961م: 78/1). فقد كان بعض المتناظرين عندما يستنفدون حججهم يعمدون إلى إفقاد خصومهم التوازن النفسي والفكري من خلال الانفعالات التي تصاحب الصياح والجلبة.

هذه هي الشروط العامة للمناظرة مع وجود بعض القضايا الخلافية، وهي اجتهادات فردية ولكنها تضيف للمناظرة أبعادا أخرى، فابن وهب الكاتب يرى أن المجادل إذا كان قصده من الجدل ألا يقطع، امتنع عن قبول الحق إذا وضح له، ولجأ إلى التنقل من قول إلى قول ومن سؤال إلى سؤال على سبيل الخلط لعله يجد مخرجاً، غير أن هذا يعد انقطاعا مثل السكوت والتقصير عن الجواب، وهو أقبح عند ذوي العقول من السكوت (الكاتب، 1961م: 194). ولذا نهى عنه، بخلاف الإمام الغزالي الذي أجازه، إذ لم ير أي مانع من التنقل، إذا كان من أجل الرجوع إلى الحق، ولا مانع من أن ينتقل المناظر في أدلته من قياس إلى أثر، ومن خبر إلى آية، ونحو ذلك طالما القصد منه الإبانة والإيضاح (الغزالي، د. ت: 1/43-44). فأجاز لكل منهما أن يحتفظ بمذهبه الخاص شريطة أن يسمح كل منهما للآخر بتأويل الآيات حسب مذهبه (1 الأصبهاني، 1961م: 1/78)، ولكنه نهى عن اعتبار الفرضية التي يدافع عنها كل من الطرفين–حسب معتقده – دليلا؛ لأنها بحاجة إلى أن يبرهن عليها، ونهى أيضا عن الحكم السابق؛ لأنه ليس من حق المتناظرين، وإنما هو من حق الجمهور، ثم كيف يمكن للمناظر أو النظير أن يكون حكماً وهو أحد طرفي النزاع، وعني ابن وهب الكاتب أكثر من غيره بمسألة التروي وتجنب العجلة" (الغزالي، د. ت: 88)، فعلى المجادل أن يحسن الإصغاء لمناظره حتى يتم كلامه، فربما وقع له شيء في أول كلام الخصم، ثم جاء في آخره ما يبين. وينبغي ألا يطول أمد النظر والتفكر طويلاً؛ لأن الجواب عندئذٍ يفقد قيمته وأثره في النفوس (المرتضى، 2004م: 1/274). إذ يجب أن يكون النظير - وفقا للمعنى اللغوي للكلمة – مثيلا ومكافئا للمناظر في المستوى العلمي والإدراك الفكري، فينبه كل منهما الآخر إلى ما غفل عنه، فالمناظرة إذا انعقدت بين خصمين غير متكافئين، لا تخلو من أن يقف الطرف الأدنى فيها موقف شخص يلتمس تعليما أو يكتفي بطرح الأسئلة، وبالتالي فإن الموضوع وطرفي المناظرة والجمهور أو المستمعين من دعائم المناظرة وهذه القضايا تتوفر في النثر كما تتوفر في الشعر وبخاصة في شعر النقائض.

لم تكن المناظرة وليدة العصر العباسي، وإنما كان لها إرهاصات منذ الجاهلية، فقد عرف العرب نوعا منها يتلاءم مع البيئة التي نشؤوا فيها وطبيعة الحياة التي كانوا يعيشونها،

فالجزيرة العربية كانت تضم أصحاب ديانات ومعتقدات مختلفة، وكثيرا ما كان يحدث بين هذه المعتقدات جدل حاد، فيحاول كل منهم أن يدافع عن معتقده ويستحضر الأدلة التي تثبت صحته، بل ربما حاول أن يقنع الآخرين باتباع مذهبه. يروى أن النصارى كانوا يجهدون للتبشير بالنصرانية وإقناع العرب باعتناقها، وحاول بعض أساقفتهم أن ينصروا المنذر الثالث، فالعرب -آنذاك -كانوا مجتمعا قبليا يقوم على العصبيات، فمن الطبيعي أن تكثر المنازعات والخصومات بينهم، مما يحتم وجود الجدل في مجتمعهم "وأهل البادية كانوا في حرب وغزو وخصومات، وهذا يدعو إلى الحوار والجدال، ولكنه لا يدعو إلى الخطابة" (حسين، 1933: 355).

ويشهد على ذلك ما كان يجري في أسواقهم التجارية ذات المجالس الأدبية من مفاخرات على ألسنة شعراء القبائل وخطبائها، وقد أورد صاحب الأغاني مناظرة طويلة وقعت بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة العامريين حين تنازعا في الرياسة (الأغاني، 1963: 16/ 284-285). وقد عد الباحث مختار الفجاري هذه المفاخرات والمنافرات نصوصا شفوية منجبة للمناظرة من حيث الشكل (الفجاري، 2009: 258). فهو يعتقد أن النصوص تتوارث وتتناسل من بعضها بعض، وهي نصوص لها تاريخ، إذ تولد وتهرم وتموت، ثم تتجدد وتتحول إلى نصوص جديدة، ولا بد لكل نص من سمات وراثية أو أجناسية، وكما أن تحديد الأجناس له علاقة بالحفريات كذلك النصوص، فهي تهرم بحكم الزمن وتتراكم عليها طبقات التاريخ، ولا يمكن معرفة حقيقتها إلا بعمل نقدي شبيه بالحفريات يزيل طبقات الخطاب الهاجعة في أقبية التاريخ، ويكشف عن آثار المعنى المناظري شكلا ومادة (الفجاري، 2009م: 258).

وللعرب قبل الإسلام إرهاصات في المناظرات كانت تجري بينهم، وكانت هذه المناظرات تتسم بالبلاغة والبيان والحكمة والقول السائغ المقنع المفحم، ومن طريف هذه المناظرات تلك التي جرت بين النعمان بن المنذر ملك الحيرة وبين كسرى حين وفد إليه النعمان وعنده وفود من بلاد الروم والهند والصين، فقال ".... ولم أر للعرب شيئا من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا، ولا حزم ولا قوة، ومع أن مما يدل على مهانتها وذلها وصغر همتها، محلتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة الحائرة، يقتلون أولادهم من الفاقة، ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة،....

فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التي يعافها كثير من السباع..." (ابن عبد ربه، 1983م: 1/ 275)، فتصدى له النعمان بن المنذر ورد على مزاعمه الواحدة تلو الأخرى، حيث قال: "وأما قولك أيها الملك: يئدون أولادهم، فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار وغيرة من الأزواج. أما قولك: إن أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها، فما تركوا ما دونها إلا احتقارا له فعمدوا إلى أجلها وأفضلها، فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوما، وأطيبها لحوما، وأرقها ألبانا، وأقلها غائلة، وأحلاها مضغة ... وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت وأحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون إليهم أمورهم، ويناقدون لهم بأزمتهم (ابن عبد ربه، 1983م: 278/1).

ويمكن القول إن أصول المناظرة ترجع إلى المفاخرات والمنافرات الشفوية الثنائية الضدية البسيطة ذات الموضوع المحدد، تحولت فيما بعد إلى مناظرات كلامية في العقائد، ثم نضجت بتقدم الزمن وتأثرت بما طرأ على المجتمع من تطورات لا سيما في العصر العباسي، إذ اختلط العرب بغيرهم من الأمم فاطلعوا على ثقافاتهم وأفادوا منها، وازدهرت المعارف والعلوم، وترجمت الكتب وكثرت المصنفات في شتى الموضوعات، فأصبحت مناظرات فلسفية تقوم على المنطق والنظريات المعقدة أحيانا وتعتمد الأدلة العقلية العميقة إلا أن خصائصها الشكلية بقيت ثابتة في جميع هذه المراحل.

المناظرات في العصر الإسلامي:

حفل القرآن الكريم في عصر صدر الإسلام بالعديد من المناظرات التي جرت بين الأنبياء السابقين وأقوامهم، مثل: التي جرت بين موسى عليه السلام وفرعون (سورة طه، آية 48-59). وبين إبراهيم عليه السلام وقومه من عبدة الأصنام (سورة الأنبياء، آية 52-68، وكذلك عرض لمحاجة المشركين للرسول الكريم (سورة الإسراء، آية 90-95)، واتخذت المناظرة في عصر صدر الإسلام اتجاها جديدا، تمثل في الجدل بين الكفر والإيمان، إذ أعرض كفار قريش عن التوحيد ونبذ عبادة الأصنام والأوثان وحجتهم في ذلك، أنها إرث آبائهم وأجدادهم، وأخذوا يجادلون الرسول الكريم حول صحة نبوته وصدق معجزاته، فقالوا له: "لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح

إلا قد جئته فيما بيننا وبينك. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا..... فقال لهم رسول الله: ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا (ابن هشام، 1937م: 315/1-316).

لكنهم استمروا في عنادهم وراحوا يطلبون منه أمورا أخرى لا يقبلها العقل البشري ولا يتصورها، منها قولهم: "فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك لو شاء فعل؛ فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل "ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رد عليهم ردا مختصرا مثّل قمة البلاغة، فقال: "ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل" (ابن هشام، 1937م: 317/1). ثم ينزل الله سبحانه على رسوله الآيات الكريمة من سورة الإسراء، وفيها يرد على مطالبهم ويبطل شبهاتهم، يقول عز وجل: ﴿ **وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (94) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (95)** ﴾ (سورة الإسراء، آية 90-95). فقد جاءت حكمة الله أن يكون الرسول من جنس المبعوث لهم وبلغتهم ليفهموا منه ما يريد وما أرسل به إليهم، يقول سبحانه وتعالى "﴿ **وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون (8) ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون** ﴾ (سورة الأنعام، آية 8-9)، وكذلك الأمر في رد الرسول الكريم على من أنكر قضية البعث، وهو أبي بن خلف عندما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده عظم رميم، وهو يفته ويذوره في الهواء، وهو يقول: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم: "نعم" يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار (ابن كثير، د. ت: 588/3).

كما كان للرسول الكريم شعراء ينافحون عن دعوته، ويذودون عن رسالته، وعلى رأسهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن راوحة، في مقابل شعراء المشركين الذين أخذوا

يهاجمون الإسلام ويهجون النبي، ومنهم: أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب. يقول عبد الله بن الزبعرى مفتخرا بانتصار المشركين في غزوة أحد، وبأخذهم الثأر لما أصابهم من هزيمة في غزوة بدر:

أَبْـلِـغَـا حَسّـــانَ عَـنّـي آيَــةً فَقَرِيْضُ الشّـــعْرِ يَشْــفِي ذَا الغُلَلْ

لَـيـتَ أَشــيَـاخِي بِبَـدرٍ شَـــهِـدُوا جَـزَعَ الخَـزرَجِ مِـنْ وَقْـعِ الأَسَـــلْ

(ابن هشام، 1937: 3/143-144)

فرد عليه حسان بأن الحرب سجال، وأن انتصار المشركين في أُحُد لا يعد شيئا مقابل انتصار المسلمين في بدر، حيث قال:

ذَهَـبَـت بِـابـنِ الـزِّبَـعْـرَى وَقـعَـةٌ كَانَ مِنَّا الفَضْــلُ فِيهَا لَو عَدَلْ

وَتَـرَكـنَــا فِـي قُـرَيـشٍ عَـورَةً يَــوم ـبَـدرٍ وَأحَــادِيـثَ المَـثَـلْ

(ابن هشام، 1937 م: 3 /144-145)

فكان شعراء المسلمين يعارضون خصومهم المشركين بمثل قولهم بالوقائع والأيام ويعيرونهم بالمثالب ويطعنون في أحسابهم وأنسابهم؛ لأن مهمتهم أن يناقضوهم، وبذلك تكون هذه المناقضات امتدادا للمفاخرات والمنافرات من حيث أصولها الفنية وإن تخللها بعض المعاني الإسلامية المستمدة من الدين الجديد، قال ضرار بن الخطاب الأنصاري بعد معركة بدر هازئا بمفاخرهم:

عَجِبْتُ لِفَخْرِ الأوسِ وَالحَيْنُ دَائِرٌ عَلَيْهِم غَداً وَالدَّهْرُ فِيْهِ بَصَــائِرُ

تُـــبكّيهِم مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ نِسْـــوَةٌ لَهَنَّ بِهَا لَيلٌ عَنِ النَّومِ سَـــاهِرُ

(ابن هشام، 1937 م: 3/13-14)

فرد عليه كعب بن مالك ردا امتزجت فيه المعاني الجاهلية المألوفة بالمعاني الإسلامية الجديدة التي تمثلت في الفخر برسول الله، وبالتفاف الأنصار حوله، فقال:

عَـجِـبْـتُ لأَمْـرِ اللهِ وَاللهُ قَـادِرٌ عَـلَى مَـا أرَادَ لَـيـسَ لله قَـاهِـرُ

بِهِـنَّ أَبَـدْنَـا جَـمْـعَـهُـم فَـتَـبَـدّدُوا وَكَانَ يُلاقِي الحَيْنَ مَنْ هُوَ فَـاجِرُ

(ابن هشام، 1937 م: 3/ 14-15)

وبعد وفاة النبي قامت المناظرات بين المسلمين أنفسهم، وأهمها ما جرى بين الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة حول استحقاق الخلافة، فالأنصار رأوا أنهم أولى بهذا الأمر، لنصرتهم الرسول وسابقتهم في الدين، يقول ممثلهم سعد بن عبادة: "يا معشر الأنصار إن لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة العرب، إن رسول الله لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأوثان، فما آمن به من قومه إلا القليل؛ والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله، ولا يعرفوا دينه، ولا يدفعوا عن أنفسهم، حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه والإعزاز لدينه، والجهاد لأعدائه" (ابن قتيبة، 1967م: 12/1-13).

ويرد عليهم المهاجرون حجتهم، فيرون أنهم أحق بالخلافة لما لها من فضيلة السبق إلى الإسلام والقرابة من رسول الله، فيقول أبو بكر ناقضا خطاب سعد من جهة، ومنصفا الأنصار ومعترفا بفضلهم في مؤازرة إخوانهم المهاجرين بغرض استمالتهم وإقناعهم من جهة أخرى: "كنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاما، والناس لنا فيه تبع، ونحن عشيرة رسول الله، ونحن مع ذلك أوسط العرب أنسابً، ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة، وأنتم أيضا والله الذين آووا ونصروا، وأنتم وزراؤنا في الدين، ووزراء رسول الله... فأنتم أحب الناس إلينا، وأكرمهم علينا، وأحق الناس بالرضا بقضاء الله تعالى، والتسليم لأمر الله عز وجل ولما ساق لكم ولإخوانكم المهاجرين رضي الله عنهم، وهم أحق الناس فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة" (ابن قتيبة، 1967م: 13/1-14). ويستمر كل من الفريقين في التفاخر بثنائية السابقة والفضيلة، فضيلة الدخول إلى الإسلام والسبق فيه، إلى أن استطاع أبو بكر إقناع الأنصار بأن الخلافة يجب أن تكون في قريش معتمدا على قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الإمامة في قريش" (الأشعري، 1969م: 41).

الدراسات السابقة:

هناك دراسات سابقة تناولت الموضوع، وقد أفاد الباحث منها بطريقة أو بأخرى، ولكنها تناولت الموضوع من زوايا مختلفة وفق المنهج الذي سارت عليه، ومنها:

دراسة سيد الصديق "موسوعة مناظرات الأذكياء ومحاورات البلغاء"، وهذه الدراسة عبارة عن تجميع لمناظرات ومحاورات بين طرفين، منها ما لا يقبله العقل، كما في المناظرة بين الملائكة وإبليس التي رواها عن الشهرستاني (ج2/ ص 169)، وكذلك فإن الصديق لا يناقش هذه المناظرات أو يعلق عليها وإنما يضعها كما هي.

دراسة رحيم الحسناوي "المناظرات الأدبية واللغوية في الحضارة العربية الإسلامية"، تحدث عن مفهوم المناظرة لغة واصطلاحا، ثم عرج على المناظرة اللغوية والأدبية والدينية والنقد الأدبي، وكذلك عرض لبعض المناظرات على لسان الحيوانات، ولكن مما يؤخذ عليه أنه مال إلى جانب الشيعة في كثرة استشهاده لهم ومحاولة إحقاق الحق لهم في مناظراتهم مع الآخرين، وهذا واضح في كثير من صفحات الكتاب، ومع ذلك فإن هذا العمل لا يقلل من الجهد المبذول في الدراسة، فهي تعد من أوائل الدراسات التي ينبغي الرجوع إليها لدراسة ظاهرة المناظرات في الأدب العربي.

دراسة شوقي ضيف في كتابه "التطور والتجديد في الشعر الأموي" لقد تحدث طويلا عن النقائض الشعرية بين فحول شعراء العصر الأموي ووصف النقائض وعلاقتها بالحركات الدينية والعقلية بأنها " صدى للمناظرات التي مست كل جانب في الحياة الدينية والعقلية (ضيف، 1965، 170)، وعلق عليها في كتاب آخر بقوله" ومن يقرأ في أخبار هذا العصر – العصر الأموي – يعرف أن المناظرات كانت مشتعلة بين الفرق " (ضيف، 1983، ص78).

دراسة أحمد أمين مصطفى " المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع " تناول في دراسته نشأة المناظرة وتطورها وثقافة المتناظرين وموضوعات المناظرة الدينية والنحوية والسياسية، ولكنه أورد بعض المناظرات التي لا يقبلها العقل كالمناظرة المتخيلة بين الديك والكلب وبين الفيل والحوت (ص 190)، ومما يؤخذ عليه أنه بدأ المناظرات من العصر الإسلامي

إذ أغفل مناظرات العصر الجاهلي إغفالا تاما، ومع ذلك فإن للكتاب قيمة علمية تضاف للمكتبة العربية.

دراسة علي محمد خليفة " فن المناظرة: دراسة في تطور فن المناظرة حتى نهاية العصر العباسي الأول " تحدث عن المناظرة وتطورها من العصر الجاهلي مرورا بالإسلامي والأموي حتى العصر العباسي الأول، ولكنه لم يعط المناظرة حقها في العصر الأموي ولم يكتب أكثر من 10 ورقات من صفحة 46-36، ومعظم ما جاء فيها منقولات من أمهات الكتب وكذلك من كتاب شوقي ضيف الفن ومذاهبه في النثر العربي، فلم يعلق على ما وضعه أو يناقشه وإنما نقله ووضعه كما هو.

المناظرات الأموية:

يختلف العصر الأموي عن بقية عصور الأدب؛ بسبب ظهور الفرق الدينية التي كانت تتطلع إلى الخلافة، إذ لم تعرف العصور الأدبية الأخرى صراعا مريرا أدى إلى شرخ المجتمع الإسلامي ولمّا يمض على وفاة الرسول سوى بضعة عقود كما حصل في هذا العصر. ومثل هذه الأمور وغيرها أدت إلى ظهور الفتن الداخلية والحروب الخارجية، وكانت أرضا خصبة لنشوء الحوار والجدل والمناظرة؛ كي تثبت كل فرقة أحقيتها بالخلافة، فلجأ الناس إلى المناظرات النثرية والشعرية، فمثل هذه المناظرات حول الخلافة كانت بحاجة إلى إيراد الحجة، وكانت أول هذه المناظرات في سقيفة بني ساعدة حول الخلافة، وقد كان صورة من صور التراوض الفكري وإن لم تتضح فيه كل شروط المناظرة. وموضوعات المناظرة، إما أن تكون سياسية أو دينية أو لغوية أو أدبية، والمناظرات السياسية أقدم أنواع المناظرات التي وصلت إلينا، أما مناظرات العصر الأموي فقد وجدت أنها تناولت الموضوعات التالية:

المناظرات الأدبية:

إن من أهم الموضوعات التي جرى البحث فيها وعقدت لها مجالس المناظرة الأدبية في العصر الأموي: الشعر والشعراء، أما الشعر فجرى البحث في معانيه وفي لغته، وأما الشعراء ففي المفاضلة بينهم والحكم على أفضلهم، ولِنُصَيب الشاعر مناظرة مع الكميت بن زيد

الأسدي، فقد اجتمع نصيب والكميت فاستشهده نصيب من شعره، فأنشده الكميت: هَلْ أَنتَ عَن طَرَبِ الأيفاعِ مُنقلبُ حتى بلغ قوله:

أَمْ هَـل ظَعَـائِنُ بِـالعَلِيَـاءِ نَـافِعَـةٌ وَإِنْ تَكَامَلَ فِيهَا الأُنْسُ وَالشَّـنَ

فقال نصيب: تباعدت في قولك: "الأُنْسُ وَالشَّنَبُ"، ألا قلت كما قال ذو الرمة:

لَمْيَـاءُ فِي شَـفَتَيْهَـا حُـوةٌ لَـعَسٌ وَفِي الِّلثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَـنَبُ

ثم أنشد: أَبَتْ هَذِهِ النَّفْسُ إلا ادِّكَارَا، فلما بلغ إلى قوله:

إذَا مَـا الـهَـجَـارسُ غَـنَـيـنَـهَـا تَـجَـاوَبْنَ فِي الـفَـلَـوَاتِ الـوِبَـارَا

قال نُصيب: الفَلوات لا تسكنها الوبار، فلما بلغ إلى قوله:

كَـأَنَّ الـغَـظَـامِـطَ مِـن غَـلـيِـهَـا أَرَاجِـيزُ أَسـلَـمَ تَـهجُـو غـفَـارَا

ما هجت أسلم غفارا قط، فانكسر الكميت وأمسك (الزجاجي، 1983م: 87-88)

والمتفحص في المناظرة يجد أنها وقعت بين شاعرين وكان باعثها استنشاد نصيب للكميت من شعره، فلما أنشده أفاد من ثقافته الشعرية في تعقب معاني الشعر الذي يتلقاه، وللكميت مناظرة أخرى مع أهل الكوفة ورواتها وبعض شعرائها، فقد شهد الكميت الجمعة بمسجد الجامع، فأحاط به علماء أهل الكوفة ورواتهم فيهم حماد والطرماح، فجعلوا يسألونه، فكان لا يسأل عن حرف إلا كان كأنه ممثل بين عينيه، فقال: ألا ألقي عليكم بيتا، فقالوا: افعل يا أبا المستهل، فألقى عليهم:

قَـذَفُـوا صَـاحِـبَهُـم فِي وَرطَـة قَـذْفَـكَ المَقلَـة وَسْـطَ المُعْتَرَك

فجعلوا ينظرون فيه، ونودي بالعصر ولم يصنعوا شيئا، فسألوه عنه، فقال: إن المقلة الحصاة التي يقسم بها القوم ماءهم. قال: والمعنى: قذفوا صاحبهم في ورطة شطر المعترك، قذفك المقلة (الزجاجي، 1983م: 166)، فقد اشترك في هذه المناظرة أكثر من عالم وشاعر. وروى الأصفهاني أن عبدالملك بن مروان طلب من عمر بن أبي ربيعة أن يعيد له المناظرة التي جرت بين عمر وبين الفضل بن العباس المهلبي في المسجد الجامع (الأغاني، 1963م: 186/16 – 189)، وقد أطلق عليها الرواة ما يلتبس بالمناظرة من مصطلحات مثل المنازعة، وهي

مناظرات انتهت بانقطاع أحد طرفيها واعترافه لخصمه، وهناك مناظرة شعرية جمعت بين عمر بن أبي ربيعة والأحوص ونصيب وكثير عزة، ركزت على معاني الشعر (الأغاني، 1963 م: 12/ 114- 117).

ويرجع تاريخ ما وصل إلينا من نصوص المناظرة في النحو العربي موضوعاته إلى عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، وكان يقال عبدالله أعلم أهل البصرة وأعقلهم ففرع النحو وقاسه وتكلم في الهمز حتى عمل فيه كتاب مما أملاه، وكان رئيس الناس وواحدهم (ينظر، الحسناوي، 1999، 89-90)). وقد عرف عن أبي إسحاق الحضرمي حرصه على التقويم النحوي لا سيما في الشعر، وقد اشتهرت في ذلك متابعاته لشعر معاصره الفرزدق، وحملة الفرزدق عليه مشهورة، حيث هجاه وذكره في بيت من شعره وصار ذلك البيت من شواهد النحو فيما بعد؛ بسبب قول ابن أبي إسحاق: إن الفرزدق لحن في ذلك البيت، وهو:

فَلَو كَانَ عَبـدُاللهِ مَولىً هَجَوتُـهُ وَلـكِـنَّ عَبـدُاللهِ مـولىً مـوالـيـا

فاعترض الحضرمي على كلمة (مواليا) المنصوبة في موضع الجر، وكان على الفرزدق أن يقول (موال). وقد حضر الفرزدق مرة مجلس ابن إسحاق فقال: كيف تنشد هذا البيت:

وَعَيـنَـانِ قَـالَ اللهُ كُونَـا فَكَـانَتَـا فَعُولانِ بِـالألبِـابِ مَـا تَفْعَلُ الخَمْرُ

فقال الفرزدق: كما أنشده، فقال الحضرمي، أما كان عليك لو قلت فعولين؟ فقال الفرزدق: لو شئت أن أسبح لسبحت، فقال ابن أبي إسحاق: لو قال فعولين لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما، ولكنه أرادهما يفعلان بالألباب ما تفعل الخمر (الزجاجي، 1983: 66). ومما يروى عن إبي عمرو بن العلاء قوله"ما ناظرني أحد قط إلا غلبته وقطعته إلا ابن أبي إسحاق فإنه ناظرني في مجلس بلال بن أبي بردة في الهمز فقطعني، فجعلت إقبالي على الهمز حتى ما كنت دونه (الزجاجي، 1983م: 185)، ومعنى هذا أن المناظرة أصبحت تؤدي وظيفة تعليمية، وهنا تكمن أهميتها، إذ إنها جاءت في زمن مبكر من تاريخ اللغة ووضع علومها.

المناظرات السياسية:

عزز العامل السياسي الحاجة إلى المناظرة، فكان وسيلة للتعبير عن مختلف الآراء السياسية والدفاع عنها فجاءت المناظرات بين الأحزاب المتخاصمة حول قضية الخلافة واعتمد كل منهم على عقيدته الدينية في إثبات حقه، فقد اشتدّ الجدل بين الأحزاب المتنازعة حول الخلافة من أمويين وشيعة وزبيريين وخوارج، ثم بين الفرق الدينية مثل: القدرية والجبرية والمرجئة وغيرها، مما أدى إلى انتشار المناظرات وتطورها. فكان " ظهور الفرق والأحزاب السياسية في عصر بني: أمية داعيا لازدهار لون من الخطابة يعتمد على الجدل وقرع الحجة بالحجة، فضلا عن المهارة البيانية، وهي تلك المناظرات التي كانت تقوم بين خطباء الأحزاب، كل منهم يحاول إيراد الأدلة على صواب خطته وسلامة مبادئه وعلى أنه أحق الأحزاب بتولي أمور المسلمين.

إن هذا يؤكد حقيقة وجود نصوص ممهدة تضافرت مع بعضها وتوالد بعضها عن الآخر حتى أخرجت المناظرة على صورتها التي أصبحت عليها في العصر العباسي فيما بعد. وتظهر خصائص المناظرة في الجدل القائم حول الخلافة من حيث وجود طرفين لكل منهما وجهة نظر مخالفة للآخر، يدافع عنها ويحتج لها بما لديه من أدلة – أغلبها – دينية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لاعتمادها على الإقناع العقلي واستعانتها بالمنطق في إيراد الأدلة والبراهين، فعندما خرج الخوارج على عليّ وابتعدوا عنه، بعث علي إليهم ابن عباس؛ ليناقشهم في الأسباب التي دعتهم إلى ذلك. روى المبرد في كامله قوله: لما خرجت الحَرَوْرية على عليّ اعتزلوا في دار وكانوا ستة آلاف وأجمعوا على أن يخرجوا على عليّ، فكان لا يزال يجئ إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون، فيقول: دعوهم فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون، فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر فقلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلّي أكلم هؤلاء القوم. قال: فإني أخافهم عليك. قلت: كلا وكنت رجلاً حسن الخلق لا أؤذي أحداً. فأذن لي فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن وترجلت ودخلت عليهم... قلت: ما تعيبون مني فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون في ثياب اليمنية ثم قرأت هذه الآية: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) (الأعراف: من

الآية32). فقالوا: فما جاء بك ؟ قلت لهم: أتيتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار ومن عند عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره – وعليهم نزل القرآن فهم أعلم بتأويله منكم وليس فيكم منهم أحد – لأبلغكم ما يقولون وأبلغهم ما تقولون. فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله عز وجل يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف: من الآية58). فانتحى لي نفر منهم فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنه. قلت: هاتوا ما نَقَمَتُكُم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ؟ قالوا: ثلاث أما إحداهن فإنه حكَّم الرجال في أمر الله وقال الله: (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (الأنعام: من الآية57). ما شأن الرجال والحكم ؟قلت: هذه واحدة. قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم إن كانوا كفاراً لقد حل سبيهم ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ سبيهم ولا قتالهم. قلت: هذه ثنتان فما الثالثة ؟ وذكر كلمة معناها. قالوا: محى نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قلت: هل عندكم شئ غير هذا ؟ قالوا: حسبنا هذا. قلت لهم أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: أما قولكم: " حكم الرجال في أمر الله " فإني أقرأ عليكم في كتاب الله أن قد صيَّر الله حكمه إلى الرجال في ثمن درهم فأمر الله تبارك وتعالى أن يُحَكَّموا فيه. أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ (المائدة: من الآية95). وكان من حكم الله أنه صيَّره إلى الرجال يحكمون فيه ولو شاء يحكم فيه فجاز من حكم الرجال أنشدكم بالله ! أحكم الرجال في إصلاح ذات البين وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب ؟ !قالوا: بلى بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِه وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ (النساء: من الآية35). فنشدتكم بالله ! حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة ؟!خرجت من هذه؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم " أفتسبون أمكم عائشة تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم ؟ فإن قلتم: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم وإن قلتم: ليست بأمنا فقد كفرتم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ (الأحزاب: الآية6).

فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج. أفخرجت من هذه ؟ قالوا: نعم. وأما محي نفسه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بما ترضون: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي: اكتب يا علي! هذا ما صالح عليه محمد رسول الله " قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " امح يا علي ! اللهم إنك تعلم أني رسول الله امح ياعلي! واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله " والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم خيرٌ من علي وقد محى نفسه ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة ! أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم. فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم (ابن الأثير: 165/3)

تظهر في هذه المحاورة الأركان الرئيسية للمناظرة، فهناك طرفان مختلفان يناقشان مسألة معينة، اعتمد كل منهما على مقدمة حاول أن يبني عليها حجته لدحض حجة الآخر حتى يصل إلى إقناعه وهذا حدث أمام جمع من الناس، وقد تمكن ابن عباس من ذلك، حين احتج بأن الله أمر بتحكم الرجال في أرنب تصاد في الحرم، مستندا في ذلك إلى قوله تعالى (يحكم به ذوا عدل منكم)، وبيّن لهم أنه يشترط على الحكمين أن يسترشدا بما جاء في كتاب الله وألا يجورا، فإن جارا فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما.

وقد كشف لهم ابن الزبير من خلال مناظرته لهم أنه لا يقول بقولهم، فانتهت المناظرة (العقد الفريد: 2/ 395)، وكذلك الأمر في المناظرة التي دارت بين عليّ وجماعة من الخوارج بعد معركة صفين، ووقوع حادثة التحكيم، إذ استطاع علي أن يلزم خصومه الحجة معتمدا على المنطق العقلي الذي سارت به الأحداث وأن ينقض حجتهم بدليل عملي من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم: إن هذه مكيدة ووهن، وأنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لم يأتوني، ثم سألوني التحكيم، أفعلمتم أنه كان منكم أحد أكره لذلك مني؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فهل علمتم أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم إليه، فاشترطت أن حكمها نافذ ما حكما بحكم الله عز وجل، فمتى خالفاه فأنا وأنتم من ذلك برءاء " ثم يقول ردا على إنكار خصومه محو لقبه (أمير المؤمنين)من وثيقة التحكيم: "لي برسول الله أسوة حسنة حيث أبى عليه سهيل بن عمر فقال: لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك، ولكني أقدمك لفضلك " (ابن الأثير: 181/3-182). وهناك

مناظرات جرت بين ابن الزبير وطلحة من جهة وعلي كرم الله وجهه من جهة أخرى حول البيعة لعلي (الدينوري، 1969: ج1/ ص 51-52). وقد ناظر علي بن أبي طالب طلحة في وقعة صفين (الدينوري، 1/74-75). وهناك مناظرة أخرى أوردها ابن عبد ربه بين ابن الزبير وبني هاشم حول زواج المتعة، وهي طويلة (ابن عبد ربه: 2/ 230- 231).

أغلب المناظرات في العصر الأموي بين بني أمية- السلطة الحاكمة – والأحزاب الأخرى، وكان لمعاوية بن أبي سفيان مناظرات عديدة مع خصومه الخارجين على حكمه من بني هاشم، ومنها تلك المناظرة التي جرت بينه وبين ابن عباس، وفيها حاول معاوية أن ينال من ابن عباس وإخوته، إذ اتهمهم بالمحاباة وأنكر على بنى هاشم رضاهم بخلافة أبي بكر وعمر وحملهم مقتل عثمان مستخدما بعض الوسائل الفنية، مثل: المقابلة والكناية، مما أكسب المعنى عمقا، وجمالا في الأداء، يقول: "رحم الله أبا سفيان والعباس كانا صفيين دون الناس، فحفظت الميت من الحي والحي من الميت، استعملك عليّ يا ابن عباس على البصرة، واستعمل أخاك عبيد الله على اليمن، واستعمل أخاك تمّاما على المدينة؛ فلمّا كان من الأمر ما كان، هنأتكم على ما في أيديكم، ولم أكشفكم عما وعت غرائركم، وقلت: آخذ اليوم وأعطى غدا مثله.... خذلتم عثمان بالمدنية، وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وحاربتموني بصفين، ولعمري لبنو تيم وعدي أعظم ذنوبا منا إليكم؛ إذ صرفوا عنكم هذا الأمر، وسنوا فيكم هذه السنة، فحتى متى أغضي الجفون على القذى، وأسحب الذيول على الأذى " (ابن عبدربه، : 93/4)

يعد هذا تطورا في إطار المفهوم الديني، فكانت كل فرقة توظف ألسنة دعاتها في تبني قضاياها ومحاولة بكل جهد تفنيد مزاعم الفرق المعارضة لها، وبذلك تحولت المناظرة إلى منعطف ديني جديد، يسمح لها بتجاوز الثوابت التي ثقفتها من مادة العصر، ليضاف إليها ما أفرزته الحياة الجديدة بكل ملابساتها، ويرد ابن عباس عليه مفندا القضايا التي أثارها خصمه ناقضا إياها الواحدة تلو الأخرى في تسلسل وترتيب، فيقول: "رحم الله أبانا وأباك، كانا صفيين متفاوضين؛ لم يكن لأبي من مال إلا ما فضل أباك، وكان أبوك كذلك لأبي؛ ولكن من هنأ بإخاء أبي أكثر ممن هنأ أبي بإخاء أبيك، نصر أبي أباك في الجاهلية وحقن دمه في الإسلام " (ابن عبد ربه،: 93/4)

وهناك كثير من المناظرات وقعت بين معاوية ورسل معارضيه، وكلها كانت تدور حول أحقية من بالخلافة. قدم سعيد بن عثمان بن عفان الشام بعد البيعة ليزيد فقال لمعاوية: يا أمير المؤمنين، لم تبايع ليزيد وتتركني؟ فوالله لتعلم أن أبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وأنا خير منه وإنك نلت ما أنت فيه بأبي، فقال معاوية: يا ابن أخي، أما قولك إن أباك خير من أبيه، فيوم عثمان خير من معاوية، وأما قولك إن أمك خير من أمه ففضل قرشية على كلبية فضل بيّن، وأما أن أكون ما نلت ما أنا فيه بأبيك فإنما هو الملك يؤتيه الله من يشاء (الدينوري، : 191/1).

ودخل الشعر ميدان المناظرة في مسألة الخلافة منذ بداية الصراع، فقد وقفت الشام مع معاوية ووقفت العراق مع عليّ، وكان معاوية مكينا في الشام بخلاف عليّ في العراق، وربما كان هذا من الأسباب التي شجعته على رفض البيعة لعلي بالخلافة، فعندما قال كعب بن جعيل أبياتا بين فيها أن الشام اتخذت معاوية خليفة للمسلمين، ومنها:

أَرَى الشَّـــامَ تَكرَهُ مُلْكَ العِرَاقِ وَأهـلُ الـعِـرَاقِ لَـهُ كَـارِهُـونَـا
وكــل يســــرُّ بــمــا عــنــده يرى غث ما في يديه سـمينا

(الدينوري: ص 122)

أجابه النجاشي – شاعر عليّ- بقوله:

دَعْـنَّ يَـا مُـعَـاوِيَ مَـا لَـن يَـكُـونَـا فَقَــــد حَقّقَ اللهُ مَـا تَحـذَرُونَـا
جَعلَتُم عَلِيَّاً وَأشْـيَاعَهُ نَظِيـــْــرَ ابنَ هنِـــْـــــدٍ أَمَا تَستَحُونَا

(الدينوري: ص 124)

وكان لكل حزب في العصر الأموي شعراؤه الناطقون بلسانه والمدافعون عن مبادئه أمام خصومه، فالكميت بن زيد الأسدي، شاعر الشيعة، يناظر الأموين ويقرر حق الهاشميين في الخلافة بدعوى أن النبي قد أوصى بالولاية لعليّ، يقول:

وَأَصْـــفَـاهُ الـنَّبِيُّ عَـلَى اختِـيَـارٍ بِمَـا أَعْيَـا الرُّفُوضَ لَـهُ المُـذِيعَـا
وَيَــومَ الــدَّوْحِ دَوْحِ غَــدِيْـرِ خُـمٍّ أَبَـانَ لَـهُ الـوِلايَـةَ لَـوْ أُطِـيْـعَـا

(شرح الهاشميات: ص 197)

ويدلل على مناظراته بأحقية الهاشميين بالخلافة بالاعتماد على القرآن الكريم يقول:

وَجَدْنَا لَكُـــــم فِي آلِ حَامِيْمَ آيَةً تَـأَوَّلَـهَـا مِـنَّـا تَـقِـيٌّ وَمَـغـــــــرِبُ
وَفِي غَـيْـرِهَـا آيَـاً وَآيَـاً تَـتَـابَـعَـتْ لَكُم نَصَبٌ فِيْهَا لِذِي الشَّكِّ مُنْصِبُ

(شرح الهاشميات: ص 56)

فهو يبطل مزاعم الأمويين التي رددوها حول إرث عثمان، ولذلك كانت مناظراته تتخذ موقف الدفاع عن النظرية السياسية التي يؤمن بها الشيعة ويحاولون إقناع الآخرين بها، وهذا ينطوي على أخذ موقف مضاد من نظريات الأحزاب الأخرى، برز ذلك في التيار الجدلي القائم على الاحتجاج للمذهب والاستدلال على صحة العقيدة، مقابل التأكيد على ظلم مناوئيه ودحض حجج خصومه، مما يجعل هذه النماذج الشعرية شكلا من أشكال المناظرات.

ومن المناظرات حول الخلافة، تلك التي دارت بين زيد بن علي بن أبي طالب وهشام بن عبدالملك : زيد: يا أمير المؤمنين، ليس أحد يكبر على تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله. هشام: اسكت لا أمّ لك، أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة، وأنت ابن أمة. زيد: يا أمير المؤمنين إن لك جوابا إن أحببت أجبتك به، وإن أحببت أسكت عنه. هشام: بل أجب. زيد: إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق، فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا وجعله للعرب أبا، فأخرج من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم، أفتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي (المسعودي: 182/3)

ويمكن القول إن المناظرة تنتمي إلى الخطاب الاحتجاجي، فإذا كان الشاعر أو الخطيب يخلق وحده نصا شعريا أو نثريا فإن المناظرة يشترك في خلقها اثنان أو أكثر وليس من الضروري أن يلتقيا وجها لوجه لإتمام المناظرة؛ لأن المعنى قد يكون من البصر أو البصيرة، فهي تشكل نوعا أدبيا متميزا عن الأنواع الأدبية الأخرى. ومع استمرار العصر الأموي وظهور الفرق بمبادىء وأفكار أصبحت تتضح أكثر صارت السياسة تتخفى وراء عقائد تلك الفرق التي أخذت تتضح مع الزمن، إذ ضمرت المناظرة السياسية المحض، وصرنا نلحظ آثار السياسة في مناظرات تلك الفرق عند حديثهم في مسألة الإمامة (ينظر الحسناوي، 1999، 24).

المناظرات الدينية :

كانت المسائل الخلافية دائرة بين علماء المذاهب الإسلامية ومفكريهم للتعرف عليها، ومِنْ ثمَّ مناقشتها والمناظرة فيها، ثم الحكم عليها، إما بالتأييد، وإن كان على خلاف ما يراه سابقاً، إذا ما اقتنع بالدليل، وإما بالتفنيد إذا استطاع أن يقيم الدليل والبرهان على بطلانها وفسادها.

ومن هنا نجد كثيرا من المسائل كانت عرضة للأخذ والرد بين المذاهب الإسلامية، وحتى في المذهب الواحد، حرصاً منهم على معرفة ما هو الصحيح من الباطل، ولذا شكلت هذه المناظرات موسوعةً علميّةً خصبة كانت غنيّة بالأدلة العلمية والحقائق التاريخية، التي لا يزال بعضها مجهولاً عند كثير من الباحثين، أضف إلى ذلك أنّ كثيراً منها يُعدّ من التراث الإسلامي الذي ينبغي المحافظة عليه.

تعددت مجالات المناظرة في عصر بني أمية وراحت تمارس أنشطتها الفكرية موازية لالتزام الأشخاص بفرقهم وربما ازداد ازدهارها مع ظهور أقطاب لها كبار، أمثال معاوية مع معارضيه أو علي مع معارضيه، وشغلهم منطق الإقناع حتى وإن ألبسوا الباطل ثوب الحق، فيتحول هذا الحصاد العقلي إلى صنعة مقصودة، تأخذ أبعادا جديدة يغلب عليها منطق الصراع والتحدي أمام جموع من الناس كما هو الأمر في نقائض العصر الأموي. اتسعت موضوعات المناظرة في الدولة الأموية بين الفرق الدينية وملئت كتب التاريخ والسير والأدب والملل بما كان يدور بينهم من مناظرات فكرية، فصاحب الأغاني يحدثنا أن الشاعر ثابت قطنة استمع لقوم من الخوارج كانوا يجتمعون بقوم من المرجئة بخراسان فيتناظرون، فمال إلى قول المرجئة واقتنع به، وقال قصيدة عدت من عيون الإرجاء ومنها:

نُرْجِي الأُمُوْرَ إِذَا كَانَتْ مُشَبَّهَةً وَنَصْدُقُ القَوْلَ فِيْمَن جَارَ أَو عَنَدَا

(شعر ثابت قطنة العتكي، 1964: ص 39)

كما يخبرنا صاحب الأغاني أن شيعيا ومرجئيا اختصما واحتكما إلى" الدلال " فقالا له: أيهما خير الشيعي أم المرجئي، فقال: لا أدري، إلا أن أعلاي شيعي وأسفلي مرجئي (أبو الفرج، د.ت: 17/2)، ويقصد أن هواه وعقله مع عليّ وعواطفه وشهواته مع المرجئة؛ لأنها لا تكفر بالذنوب. إن مثل هذه الأدلة تشير إلى سعة انتشار المناظرات وبخاصة أن الدولة الإسلامية في عصر بني

أمية قد اتسعت وراحت تضم أجناسا وشعوبا مختلفة، فامتزج العرب بغيرهم، واطلعوا على ثقافاتهم وبعضهم تأثر بها، فقد نظر الشيعة لعلي نظرة تقديس، ونادى السبئية بالحلول والتناسخ الذي كان موجودا عند الهنود، كما كان لعلم الكلام دورا مهما في إذكاء المناظرات وتطورها؛ بسبب قوة الجدل بين الفرق الدينية في أصول العقيدة، مثل: صفات الله ومسائل القدر والجبر وحرية الإرادة والاختيار ونحوها، ولعلم الكلام أثره الواضح في رسم هذه الصورة، فالفضل يعود إليه في تطوير المناظرة شكلا ومضمونا، مع ملاحظة تداخل الأسباب الدينية والسياسية في كثير من الأحيان. يناظر الكميت الأسدي – شاعر الشيعة – الأمويين في قولهم إن الخلافة من حقهم، وفي حجتهم أنهم ورثوها عن عثمان بقوله:

وَقَـالُـوا وَرِثْـنَـاهَـا أَبَـانَـا وَأُمَّـنَـا ... ومَـا وَرَّثَـتْـهُـم ذَاكَ أُمٌّ وَلا أَبُ

يَرَوْنَ لَهُم فَضْـلاً عَلَى النَّاسِ وَاجِبَاً ... سَـفَاهَاً وَحَقُّ الهَاشِـمِيينَ أَوْجَبُ

يَـقُـوْلُـونَ لَـمْ يُـوْرَثْ وَلَـولا تُـرَاثُـهُ ... لَقَدْ شَــرِكَتْ فِيْهِ بَكِيْلٌ وَأَرْحَبُ

فَـإِنْ هِيَ لَمْ تَصْــلُح لِحَيٍّ سِــوَاهُم ... فَـإِنَّ ذَوِي القُرْبَى أَحَقُّ وَأَقْرَبُ

(شرح الهاشميات: 59- 65)

فالكميت يناظر الأمويين ويرى أنهم متناقضــون مع أنفســهم في زعمهم أن النبي لا يورث، وفي ادعائهم أنهم ورثة الخلافة، لقرابتهم من رســول الله، ثم يأخذ في تفنيد زعمهم وإبطاله بأن النبي لا يورث، وفي هذه الحالة تكون الخلافة حقا لجميع القبائل العربية، وليســت مقصــورة على قريش، وإذا كانـت تورّث لقول الرســول الكريم " الخلافـة في قريش" فالهاشميون- آل الرسول الكريم - الأقربون أولى بميراثه من بني أمية (ضيف،: 279-280)

وهنا تتجلى فائدة المناظرة، وهي الوصول إلى الحق فيما ينشأ من خلاف في المسائل الدينية بين المتناظرين من خلال اتباع القواعد المنطقية وطرق الاستدلال الصحيح في إثبات الرأي بالأدلة الناصعة مع الاعتراض على ما يخالفه، ويترتب على ذلك رد الحجة بالحجة، بإلزام المناظر إن كان سائلا وإفحامه إن كان معللا (عبدالحميد، 1942: ص 7).

تعتمد المناظرة جوهريا على العقل في جهوده الاستنتاجية وعلى أحكامه المنطقية، كما تقوم على الإدراك الشامل للمعطيات المطروحة من قبل الخصم، فهي تقوم بمهمة الرد على

الحاجات الاجتماعية والثقافية والدينية للعصر الذي توجد فيه، من خلال اعتمادها على تقنية احتجاجية خاصة، إذ إنها تعكس الواقع من خلال الخطاب العقلي والفكري.

يناظر معاوية ابن أبي سفيان عبدالله بن الزبير بن العوام حول أحقيته بالخلافة في قوله: معاوية، تنازعني هذا الأمر كأنك أحق به مني، قال ابن الزبير: ولِمَ لا أكون أحق به منك يا معاوية؟ وقد اتبع أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان، واتبع الناس أباك على الكفر، وقال له معاوية: غلطت يا ابن الزبير، بعث الله ابن عمي نبيا، فدعا أباك فأجابه؛ فما أنت إلا تابع لي، ضالا كنت أم مهديّا (ابن عبد ربه: 106/4)،

أخذت المناظرة بين الفرق الدينية اتجاها فكريا احتجاجيا وبخاصة عند الشيعة، في حين اعتمدت على التلقائية وتثبيت الأفكار دون اللجوء إلى الاحتجاج والبرهنة عند الخوارج، فقد تغنى الشعر الخارجي بصنيع عبدالرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب، وعدّ ذلك تقربا إلى الله، يقول عمران بن حطان:

يَـا ضَــرْبَـةً مِن تَقِيٍّ مَـا أَرَادَ بِهَـا إلا لِيَبلَغَ عِنْدَ ذِي العَرْشِ رِضْوَانَا

إنّي لأذكُرُهُ حِينـاً فَـأَحْسَـبَـــهُ أَوْفَى البَرِيَّـةِ عِنْـدَ اللهِ مِيْـــزَانَـا

(شعر الخوارج، 1974: 147)

ولكن الشاعر الشيعي طاهر بن عبدالله بن طاهر رد عليه قوله ففند رأيه وحاجج قوله، فقال:

يَا ضَــرْبَةً مِن شَــقِيٍ مَا أَرَادَ بِهَا إلا لِيَهْدِمَ مِن ذِي العَرْشِ بُنيانَا

إنّي لأذكُـرُهُ يَـوْمَـاً فَـأَلـعَـــــنَـهُ دِينـاً وَألعَنَ عمرَانَ بنَ حِطّـانَـا

(الدينوري: 49/2)

علما أن هذه المناظرات لم تكن لتوجد لولا ظهور الفرق التي فرقت الأمة شيعا، فمما روي عن الشهرستاني قوله: "ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان" (الشهرستاني: 24/1)وبالتالي فقد شغلت المناظرات مساحة لا بأس بها من مساحة الأدب الأموي وكان لنتائجها أهمية واضحة، وبخاصة إذا ما كانت تتعلق بأمور العقيدة، فمن أبرز المسائل الدينية التي ثار حولها الخلاف في هذا العصر حكم مرتكب الكبيرة التي كثرت فيها المناظرات وتشعبت الآراء داخل الفرقة الواحدة، إذ تناظر فيها واصل بن عطاء

وعمرو بن عبيد، وهما من رؤوس المعتزلة، فسمى عمرو مرتكب الكبيرة منافقا مستدلا ببعض الآيات الكريمة بعد أن أقام بربط بعضها ببعض بطريقة تؤيد رأيه، وقال: عمرو"لقول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(النور: 4). وقال في موضع آخر: ﴿ إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ (التوبة: 67) فكان كل فاسق منافقا؛ إذ كانت ألف ولام المعرفة موجودتين في الفاسق ". فأجابه واصل محتجا عليه بالنظير من آي القرآن الكريم: "أليس قد وجدت الله تعالى يقول ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة: 45)، وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة يستحق اسم ظالم؛ كما يستحق اسم فاسق، فألا كفرت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾ (البقرة: 254) فعرف بألف ولام التعريف اللتين في قوله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ كما قال في القاذف: (وأولئك هم الفاسقون)، فسميته منافقا لقوله تعالى ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة التوبة: آية 67)) فأمسك عمرو" (المرتضى: 166/1وينظر، الحسناوي، 1999، 32-33)، وذهب جمهور العلماء إلى أن مرتكب الكبيرة مؤمن، لاعتقاده بأن ما جاء من عند الله من الرسل والكتب المنزلة وغيره حق، وأنه فاسق بكبيرته، ولكن فسقه لا ينفي عنه الإيمان. يوافقهم واصل في القول: إنه فاسق؛ لتسميته بذلك في كتاب الله، ولاجتماع الأمة على هذه التسمية، ولكنه يضعه في منزلة بين المؤمن والكافر،، وحجته في ذلك: "إن الإيمان عبارة عن خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنا وهو اسم مدح، والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح، فلا يسمى مؤمنا وليس هو بكافر مطلقا أيضا؛ لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه، لا وجه لإنكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة، فهو من أهل النار... لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار" (الشهرستاني: 46/1).

المناظرات القبلية:

سلك بعض خلفاء بني أمية مسلكا بعث العصبية القبلية من مرقدها، في الوقت الذي كانت فيه بعض القبائل -العدنانية والقحطانية مثل تميم وقيس من مضر وبكر وعبد القيس من ربيعة - متلهفة إلى بعث هذه العصبية، فمعاوية اتجه إلى استمالة اليمنية ليعتمد عليهم وعلى بعض النزارية في الشام لتثبيت ملكه، ولذلك لجأ الأمويون وبطرق شتى لإثارة العصبيات وبخاصة في بيئة العراق، مهد المعارضة السياسية؛ لصرفها عن التفكير في السياسة، فكان سوقا المربد في البصرة والكناسة في الكوفة يزخران بالشعراء الذين يتهاجون ويتفاخرون.

حتى أن بعض الخلفاء كان يجمع بين المتناظرين ليسمع منهما، كما فعل سليمان بن عبدالملك، فقد جمع بين قتادة والزهري، فغلب قتادة الزهري، فقيل لسليمان في ذلك فقال: إنه فقيه مليح، فقال القخذمي: لا ولكنه تعصب للقرشية ولانقطاعه كان إليهم ولروايته فضائلهم (ينظر الجاحظ: 243/1)، وكثير من نقائض العصر الأموي بين الفحول وغيرهم تتوفر فيها عناصر المناظرة وشروطها. فقد كان أحدهم يوجه إلى الآخر قصيدة يركز فيها على قضايا معينة قبلية أو سياسية أو دينية فيرد عليه الشاعر الآخر بقصيدة يفند فيها معاني الشاعر الأول وينقض أفكاره ملتزما الوزن الشعري والقافية، قال الفرزدق يفخر بآبائه وأخواله:

وَأَنـــا اِبـــنُ حَـــنظَلَةَ الأَغَرُّ وَإِنَّني ... فـي آلِ ضَـبَّةَ لَـلمُعَمُّ الـمُخوَلُ

زَيـــدُ الـــفَوارِسِ وَابـــنُ زَيدٍ مِنهُمُ ... وَأَبـــو قَـــبيصَةَ وَالـــرَئيسُ الأَوَّلُ

(ديوان الفرزدق: 321/2)

فناظره جرير قائلا:

كانَ الـفـرزدقُ إذْ يـعـوذُ بـخـالـهِ ... مثلَ الذليلِ يعوذُ تحت القرملِ

وَافْـخَـرْ بضَـــبّـةَ إنّ أُمّـكَ مِـنْهُـمُ، ... ليسَ ابنُ ضـبـة بـالمعمَّ المخولِ

وقضـتْ لنا مضـرٌ عليكَ بفضـلنا ... وقضتْ ربيعةُ بالقضاءِ الفيْصلِ

(ديوان جرير: 942/2-943.

ومن مظاهر التعصب الفكري الذي كان بين الشيعة والزبيريين وأدى إلى مقتل ابن الزبير، خروج ابن الزبير على عليّ على الرغم من قناعته بأحقيته بالخلافة، ولكن العصبية الفكرية هي التي كانت تحركه وتدفعه للخروج عليه. يعمد الشاعر في هذا الشعر إلى مقارعة الفكرة بالفكرة والحجة بالحجة في أثناء نقض معاني الخصم ودحض مزاعمه، فبنية النقيضة تتركب من الفخر والهجاء، وهي الثنائية الضدية ذاتها التي تقوم عليها المناظرة، وموضوعاتها قضايا قبليّة، تثير الضغائن وتكشف الأحقاد الدفينة، ولكنها تتحقق فيها شروط المناظرة؛ لأن المناظِر يريد أن يصل إلى مبتغاه من خلال قرع الحجة بالحجة، ومادة النقيضة غالبا ما تدور حول مفاخر القبائل ومثالبها، من حيث: الأنساب والأحساب والأيام والوقائع، يفخر الأخطل بيوم (الكلاب الأول)على قيس ويهجو جريرا ورهطة، فيقول:

أبَـني كُـلَـيْـبٍ، إنَّ عَـمّيّ الـلـذا قـتـلا الملـوكَ، وَكّـكَـا الأغـلالا
وأخوهُمـا السّــفـاحُ ظمّـأ خَيْلَـهُ حَتّى ورَدْنَ جِبي الكُلابِ نِهَـالا
فِي فَيلَق يَـدعُـو الأرَاقِم لَم تَكُنْ فُـرسَــانُهَـا عُـزلا وَلا أكـفَـالا

(نقائض جرير والأخطل: 73-78)

فيرد جرير عليه معانيه، ويضع مقابل هذه المعاني التي عدها الأخطل مأثرة لقومه معاني ومآثر لقيس ويربوع، ويعيره بيوم البشر والكحيل، يقول جرير:

أَنَسِــيْـتَ يَوْمَكَ بِـالجَزِيْرَةِ بَعْـدَمَـا كَـانَـتْ عَـوَاقِـبُـهُ عَـلَـيْـكَ وَبَـالا
قُـدْنَـا خُـزَيْمَـةَ قَـدْ عَلِمْتُم عُنْوَةً وَشَــتَـا الهُـذَيْل يُمَـارِسُ الأغْلالا

(نقائض جرير والأخطل: 89- 93)

ويمكن عد التزام الشاعر بالوزن والقافية في نقائض الأمويين تطورا فنيا له أسبابه الخاصة، وهو تطور عن قصيدة الهجاء الجاهلية، علما أنه ليس من شروط المناظرة الالتزام بهذه الأمور، ولكن على المتناظرين الالتزام بالموضوع الذي تدور حوله المناظرة مع التركيز على إبطال الفكرة والرد عليها، فإذا كانت المناظرة النثرية تركز على السجع والمقابلة ليكون وقعها جميلا في النفس، فلماذا لا يركز الشعر على القافية والوزن للغرض ذاته مع إظهار القدرة البيانية.

إن العصبية القبلية من مقومات المفاخرات والمنافرات في الجاهلية، وأصبحت مادة أساسية لموضوعات نقائض العصر الأموي، إذ اتسعت لتشمل أيام العرب في الإسلام أيضا، وأصبحت تشترط على الشاعر الثاني أن يتقيد بالموضوع ذاته الذي اختاره الشاعر الأول وأن يلتزم الوزن الشعري والقافية، فكان ينقض معاني قصيدة خصمه وأفكاره، ويرفد شعره بالحجج والبراهين التي يؤيد بها وجهة نظره، وفي الوقت نفسه يأتي بكل ما يمكن من أدلة وبراهين تنقض حجج خصمه. ويرى شوقي ضيف أن هذه النقائض لم تكن إلا مناظرات أدبية، على غرار المناظرات العقلية والسياسية لا سيما نقائض جرير والفرزدق، التي كانت تمثل عقلية جديدة، وتعبر عن تطور جديد في الفكر العربي، وما دعمه من طرق استدلال وبرهنة في هذه المسائل والمشاكل، ويمكن القول إن النقائض هي أسلوب آخر للمناظرة وبخاصة أنها استقلت عن فن الهجاء القديم، إذ أصبحت فنا معقدا يقوم على المزج بين عناصر جاهيلة قديمة وأخرى إسلامية جديدة، ومنها هذا التلوين العقلي الذي اكتسبه الشاعر من بيئة العلماء الذين كانوا يتحاورون في النحل ومسائل الإيمان (ضيف، : 194)

فهناك أمور مشتركة بين المناظرة والنقيضة، منها: وجود طرفين أو أكثر، إضافة إلى أن الطرف الأول هو الذي يبدأ بالموضوع ويقترحه، وعلى الثاني أن يرد عليه مبطلا قول الأول، وكذلك فإن كلا منها كانت تجري أمام الناس ومهمة الثاني الرد على الأول وإبطال مزاعمه. فمن مظاهر العصبية القبلية ما جرى بين الراعي النميري وجرير، فقد كان المتوقع أن يقف الراعي النميرى الشاعر مع جرير على الفرزدق، ما دام جرير يحطب في حبل قيس عيلان قوم الراعي كما يقول شوقي ضيف في أكثر من مكان، كما أشار عليه بذلك جرير، ولكن العصبية القبلية تدخلت في الأمر، فألفت بين الراعي وبين الفرزدق على جرير؛ لأن بشر بن مروان أمه قيسية فعمل على أن يضم قيس عيلان إلى بني أمية واستطاع أن يستميل إليه الراعي الذي أعان الفرزدق على جرير، عندما طلب إليه ذلك، وكنا نتوقع أن يقف الراعي النميري في صف جرير، ويساعده على الفرزدق؛ لأن جرير يحطب في حبل قيس عيلان قوم الراعي؛ كما أشار جرير، إلا أن السياسة تدخلت، وفعلت عكس هذا التوقع، وألَّفت بين الراعي والفرزدق ردحاً من الزمن، فالراعي يفضل الفرزدق على جرير في قوله:

يَا صَــاحِبِيّ دَنا الأصــيلُ فَســيرا   غَلـبَ الفرزدقُ في الهجـاءِ جَريرا

(نقائض جرير والفرزدق: ص428)

وهو موقف شاذ، هيأ له ظهور بِشْر في العراق، وتقريبه بين الراعي والفرزدق، ووقف الاثنان في وجه جرير، بإشارة من بشر بن مروان؛ لأن أمه قيسية، فعمل وحاول أن يضم قيس إلى بني أمية بفضل الأخطل عندما طلب منه أن يفضل الفرزدق على جرير (ينظر، ضيف، 1973، 178-179). وقيل قدم الأخطل الكوفة على بشر بن مروان، فبعث إليه بحملان وكسوة وخمر، وقال له فضِّل شاعرنا- يعني الفرزدق-عليه وسُبّه، فقال الأخطل:

فَاخْسَــأ إِلَيْكَ كُلَيْبُ إنَّ مُجَاشِـعَاً   وَأبَــا الفَوَارِسِ نَهْشلاً أخَوَانِ

قَـوْمٌ إِذَا خَـطَرَتْ عَـلَـيْـكِ قُـرُومُـهُـم   طَرَحُـــوكَ بَيْنَ كَلاكِلٍ وَجِرَانِ

وَإِذَا وَضَــعْـتَ أَبَـاكَ فِي مِـيزَانِـهِـم   رَجَحُوا وَشَـالَ أَبُوكَ فِي المِيزَانِ

(نقائض جرير والأخطل: ص223)

فناظره جرير وناقضه بقوله:

يَا ذَا العَبَاءَةِ إنَّ بِشْـراً قَدْ قَضَـى   أَلا تَجُوْزَ حُكُومَــةُ النَّشْـوَانِ

فَدَعُوا الحُكُومَةَ لَسْـتُمُ مِنْ أَهْلِهَا   إِنَّ الحُكُومَــةَ فِي بَنِي شِيْبَانِ

(نقائض جرير والأخطل: ص208-206)

ومن مظاهر العصبية التي ظهرت على شكل مناظرات شعرية ما كان بين بني كلب واليمنية بعامة وبين قيس عيلان خاصة، فقد اصطدمت أسبابهما السياسية والاقتصادية، وحرصتا على أن تكون لكل منهما سلطان نافذ، حتى لقد أوشكت كلتاهما أن تظفر بالخلافة. لولا نزول كلب للأمويين، والقيسية لابن الزبير، وذلك أيام الجابية ووقعه مرج راهط، فلما انتصر مروان كان ذلك انتصارا لليمن على قيس عيلان وقتل الضحاك بن قيس الفهرى في هذا اليوم ومعه كثرة من قومه، وفيها ناظر عمرو بن مخلاة الكلبي زفر بن المخلاة القيسي (ابن الأثير، 1985: 75/4).

وبرزت العصبية القبلية بشكل واضح في المناظرات، وكانت مادة غنية لموضوعاتها، فقد كان العداء شديدا بين قبيلة كلب أنصار مروان بن الحكم وقبيلة قيس أنصار عبدالله بن الزبير، وعندما انتصر مروان على القيسية في معركة مرج راهط قال زفر بن الحارث الكلابى:

أرِينِي سِــلاحِي لا أَبَا لَكِ إنَّنــــــِـي أَرَى الحَربَ لا تَزدَادُ إلا تَمَــادِيَــا
فَقد يَنبُتُ المَرعَى عَلى دِمَنِ الثَّـــرَى وَتبقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَا
لَعَمْرِي لَقَــد أَبْقَــت وَقِيْعَــةَ رَاهِطٍ لِمَروَانَ صَــدْعَاً بَيْنَنا مَتنَائِيَــــــا

(السابق: 75/4)

ويكشف البيت الرابع بوضوح عما في النفوس من ضغائن وأحقاد بين هذه القبائل، فرد عليه شاعر كلب جواس بن قعطل بقصيدة أخرى، تكشف عن طبيعة الصراع القبلي بين قيس وكلب، فقال:

لَعَمْرِي لَقَــد أَبْقَــت وَقِيْعَــةَ رَاهِطٍ عَلَى زُفَرٍ دَاءً مِن الدَّاءِ بَاقِيَــــــا
دَعَــا بِسِــــلاحٍ ثُــمَّ أَحـجَـمَ إذْ رَأَى سُيُوُفَ جنَابٍ وَالطّوالِ المذَاكِيَــا
عَليهَا كَأسْـــدِ الغَابِ فِتيَانُ نَجْدَةٍ إذَا أَشْرَعُوا نَحْوَ الكُمَاةِ العَوَالِيَــا

(نقائض جرير والأخطل: ص19)

يجد المتتبع لهذا الشعر مظاهر شتى لهذه العصبية بين قحطان وعدنان متصلة بالسياسة، جاءت على شكل مناظرات تركز على الجانب الذي كان قد دفنه الإسلام، وأعني العصبية القبلية بكل ألوانها العرقية والجنسية، ومن هذه المناظرات التي تبرز العصبية بشكل واضح ما كان بين الكميت الأسدي، وهو من مضر، وبين حكيم بن عياش الكلبى من أهل الشام، وكانا يتهاجيان في سبيل السياسة بداية، ثم أخذ يتطور إلى صورة قبلية.

وهنا نجد أسلوب المناظرة وشروطها متوفرة، كما زاحمت قيس تغلب في بلادها، ثم أساءت جيرتها، وكانت عاملا سياسيا قويا فيما كان بين أمية والزبيريين من صراع، وكانت أيامها على تغلب قوية. كان لقيس أيام الثرثار الثاني وفدين والسكير والبليخ والكحيل والبشر، وكان لتغلب الثرثار الأول والشرعبية، والحشاك، ثم أصلح عبد الملك بين الحيين فأمر الوليد بن عبد الملك فحمل الدماء بينهما قبل يوم البشر، وضمن الجحاف السلمى قتلى البشر وألزمه إياها عقوبة له فلجأ هذا إلى الحِجاج.

وعرف بنو أمية أهمية السياسة، والاتكاء عليها، فمن سياسة معاوية الناجحة، زواجه من ميسون الكلبية، وكذلك فعل سيدنا عثمان رضي الله عنه من قبل، وقد استطاع الأمويون أن

يعتمدوا على هذه القبيلة، من خلال تأييدها المطلق لمعاوية، ومن بعده يزيد، ثم ظهر ذلك واضحاً في معركة مرج راهط فناصرت الأمويين على قيس عيلان، وكان هذا سبباً لمطالبة حسان بن مالك بن بحدل -خال يزيد- بالخلافة، فلولا ما قدمته هذه القبيلة لبني أمية، ما فكر حسان فيها، وانعكس هذا على ألسنة الشعراء، فقال عمرو بن مخلاة الكلبي:

فَمَن يَكُ قَد لاقا مِنَ المَرجِ غِيظَةً فَكَانَ لِقَيْسٍ فِيهِ خَـــَـــاص
فَلَن يَنصِبَ القَيسيُّ للنَّاسِ رَايَـةً مِن الـدّهْـرِ إلا وَهـوَ خَـزْيَـان

فأجابه زفر بن الحارث بقوله:

فَـخَـرْتَ ابـنَ مِـخْـلاةِ الـجِـمَـارِ عَلاكَ بِهِ فِي المَرْجِ مَن لا تدَافَعُ
فَأيُّ قَبيلَينَا وَأمكَ مَـــــا يَكُن لَهُ المُلكُ تَتبعُـهُ وَخَدُّكَ ضَارعُ

(السابق: ص 21)

كانت هذه المناظرات ثمرة الحياة الجديدة التي بدأتها الدعوة المحمدية وكان القرآن الكريم عمودها الأدبي والشرعي وفي ظلها نشأ هذا الجيل الأموي من الشعراء والخطباء والكتاب فكانت آثارهم متأثرة بهذه العوامل خاضعة لتياراتها السياسية والاجتماعية والعقلية للقرآن الكريم، وهو بذلك يختلف عن الأدب الجاهلي وعن أدب المخضرمين الذين مثلوا فترة الانتقال بين الجاهلية والإسلام. غلب على المناظرات الطابع العربي من حيث موضوعاته ومعانيه وأساليبه ومرد ذلك قرب الدولة من عهد البداوة إلى النزعة العربية وسلطانها، فكان الأدب الأموي أدبا محافظا في الغالب، على الرغم من تأثره بالحياة الجديدة.

واعتمدت المناظرة اعتمادا أساسيا على استخدام الخطاب الاحتجاجي في تغيير معتقدات البدائل وطرحها، وتعتمد لغة المناظرة على القدرة العقلية والثقافية، لذا استخدم السجع فيهما بكثرة وعني بالموازنة بين الجمل، لما لهما من إيقاع موسيقي مؤثر، يستميل أسماع المخاطبين ويستدر عواطفهم وصولا إلى كسب تأييدهم. ومثال ذلك قول خالد بن أرطاة وجرير البجلي في المناظرة التي وقعت بينهما، حيث قال خالد: "ننزل البراح ونطعن بالرماح، ونحن فتيان الصباح". فقال جرير: "نحن أهل الذهب الأصفر والأحمر المعتصر، نخيف ولا نخاف،

ونطعم ولا نستطعم، ونحن حي لقاح نطعم ما هبت الرياح، نضمن الدهر ونصوم الشهر ونحن الملوك القسر (الألوسي: 301/1).

اعتمدت المناظرة على لغة خاصة؛ لأنها تؤدى لغرض خاص، فقد استخدمت مختلف فنون البلاغة، مثل: الكناية والسجع والمقابلة والطباق مع جزالة اللغة وسبكها، يقول معاوية في مناظرة ابن عباس: "... فحفظت الميت من الحي والحي من الميت.... فحتى متى أغضي الجفون على القذى وأسحب الذيول على الأذى..." (ابن عبد ربه: 93/4). فقد اهتمت المناظرة بتنسيق الأفكار العامة واعتمد أصحابها على الترتيب المنطقي المعتمد على أسلوب الحجة والبرهان المتسم بالوضوح والبساطة البعيد عن التعقيد والغموض، وقد جاء هذا انعكاسا موضوعيا وشكليا للبيئة التي قيلت فيها المناظرة.

الخاتمة:

إن العصر الأموي كان البداية الحقيقية للمناظرة بالمعنى الذي استوت فيه على سوقها في العصر العباسي، إذ ساعد على ازدهارها كثير من العوامل منها: ظهور الأحزاب السياسية، وتعدد الفرق الدينية، والاحتكاك بين الحضارات المختلفة من خلال الفتوحات الإسلامية، إذ التقت حضارة فارس بحضارة الرومان وحضارة السريان وفلسفة اليونان تحت ظل الإسلام، فكان لهذا المزج بين العناصر المتنافرة أثر كبير في اللقاح العقلي. وكفل الخلفاء للمتناظرين حرية القول، فلم ترهب الأحزاب المختلفة من إعلان آرائها والتعبير عن انتمائها والدفاع عن مذهبها أمام خصومها.

إن المناظرات النثرية كان يوازيها في واقع الحياة الأدبية نماذج من الشعر، يمكن أن تعد من قبيل المناظرات الشعرية، ولكن الأولى نالت حظا من الازدهار أكثر من الأخرى؛ طبيعة المناظرة يغلب عليها سلطان العقل، والنثر أرحب مجالا للمحاججة والجدل العقلي القائم على البراهين وشرح وجهات النظر والاستدلال عليها.

المصادر والمراجع

الأسـدي، الكميت. **شـرح الهاشـميات**. تحقيق: داوود سـلوم ونوري حمودي القيسـي. ط1. بيروت: عالم الكتب، 1984.

الأصـــفهاني، أبو الفرج. علي بن الحســـين. **الأغاني**. مصـــوّر عن طبعة دار الكتب. بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، د. ت

الألوســـي، الســـيد محمود شـــكري. **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**. تحقيق: محمد بهجة الأثري. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1314هـ.

الألمعي، زاهر. **مناهج الجدل في القرآن الكريم**. ط2. د. م: د.ن، 1400هـ.

أمين، أحمد. **ضحى الإسلام**. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي، 1965.

إخوان الصفا. **رسائل إخوان الصفا وخلاّن الوفاء**. بيروت: دار صادر، 1957.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. **تهذيب اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. د.م: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964.

الأشـعري، أبو الحسـن علي بن إسـماعيل. **مقالات الإسـلاميين واختلاف المصـلين**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط2. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1969.

الآمدي، عبد الوهاب بن حسين بن ولي الدين. **شرح الآمدي على الولدية في آداب البحث والمناظرة**. مصر مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1961.

- الباجي، أبو الوليد ســـلمان بن خلف بن ســـعد. **المنهاج في ترتيب الحجاج**. تحقيق. عبد المجيد تركي. بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1973.

التوحيدي، أبو حيان. **الإمتاع والمؤانسة**. تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين. ط.2. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1953.

أبو تمام، **نقائض جرير والأخطل**. علّق حواشـيها: الأب أنطون صـالحاني اليسـوعي. بيروت: المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين. دار المشرق، 1922.

التهانوي، محمد أعلى بن علي. **موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلاميّة**. بيروت: شركة خياط للكتب والنشر، 1961.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب. **البيان والتبيين**. تحقيق: حسن السّندوبي. ط.2. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1932.

الجرجاني، الشريف علي بن محمد. **كتاب التعريفات**. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. ط.1. بيروت: عالم الكتب، 1987.

جرير. **ديوان جرير**. شرح: حبيب بن نعمان. تحقيق: نعمان محمد أمين طه. دار المعارف. مصر. 1971.

الحسناوي، رحيم جبر أحمد. **المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية**. ط.1. عمان: دار أسامة، 1999.

حسين، طه. **في الأدب الجاهلي**. ط.3. القاهرة: مطبعة فاروق، 1933.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. **مقدمة ابن خلدون**. تحقيق. علي عبد الواحد وافي. ط.3. القاهرة: دار نهضة مصر، د. ت.

خليفة، علي محمد. **فن المناظرة دراسة في تطور فن المناظرة حتى نهاية العصر العباسي الأول**. ط.1. مصر: دار الوفاء، 2013.

الدريدي، سامية. **الحجاج في الشعر العربي القديم (بنيته وأساليبه)**. ط.1. عمان: عالم الكتب الحديث، 2008.

الدينوري، أبو حنيفة. **الأخبار الطوال**. تحقيق: عبدالمنعم عامر. ط.1. القاهرة: د.ن، 1960.

ديوان الخوارج. تحقيق: إحسان عباس. ط.2. بيروت: دار الثقافة، 1974.

الراغب، الأصبهاني. أبو القاسم، حسين بن محمد. **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**. بيروت: دار مكتبة الحياة، 1961.

ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط.3. مصر: مطبعة السعادة، 1963.

أبو زهرة، محمد. **تاريخ الجدل**. ط.2. القاهرة: دار الفكر العربي، 1980.

الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق. **مجالس العلماء**. تحقيق: عبدالسلام هارون. ط.2. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1983.

الزبيدي، السيد محمد مرتضى. **تاج العروس**. بنغازي: دار ليبيا، د.ت.

سعيد، علي جاد الحق. **المناظرات في النثر الأدبي قبل العصر الأموي**. د.م: مصر للخدمات العلمية، 1998.

شعر ثابت قطنة العتكي. تحقيق ماجد السامرائي. ط.1. بغداد: وزارة الثقافة، 1967.

الشايب، أحمد. **الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)**. ط.8. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1988.

الشّهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد. **الملل والنحل**. تحقيق: أحمد حجازي السّقا ومحمد رضوان مهنا. ط.1. المنصورة: مكتبة الإيمان، 2006.

الصّدّيق، حسين. **المناظرة في الأدب العربي الإسلامي**. ط.1. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 2000.

ضيف، شوقي. **التطور والتجديد في الشعر الأموي**. ط.5. القاهرة: دار المعارف، 1973.

ضيف، شوقي. **العصر العباسي الأول**. ط.2. مصر: دار المعارف، 1975.

ضيف، شوقي. **الفن ومذاهبه في النثر العربي**. ط.1. القاهرة: دار المعارف، 1983.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **تاريخ الرسل والملوك**. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. ط.4. القاهرة: دار المعارف، 1977.

عبد الحميد، محمد محيي الدين. **رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة**. ط.7. مصر: د.ن، 1958.

عبدالفتاح، سيد الصديق. **موسوعة مناظرات الأذكياء ومحاورات البلغاء**. ط.1. القاهرة: مكتبة الدراسات العربية للكتاب، د.ت.

عبدالله، أبو الطيب اللغوي. **مراتب النحويين**. مصر: دار النهضة، 1974.

ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد. **العقد الفريد**. تحقيق: مفيد محمد قميحة. ط.1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983.

أبو العباس المبرد، محمد بن يزيد. **الكامل**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، د.ت.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. **إحياء علوم الدين**. د.م: دار الرشاد الحديثة، د.ت.

القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم. **الأمالي**. مراجعة: لجنة إحياء التراث العربي. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1980.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. **الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)**. تحقيق: طه محمد الزيني. القاهرة: مؤسسة الحلبي، 1967.

ابن كثير، عماد الدين. **البداية والنهاية**. ط.2. بيروت: مكتبة المعارف، 1974.

الكاتب، ابن وهب أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان. **البرهان في وجوه البيان**. تحقيق: حفني محمد شرف. القاهرة: مطبعة الرسالة، 1969.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مصر: دار الرجاء، 1938.

مصطفى، أحمد أمين. **المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1984.

المرتضى، علي بن الحسين. **أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد**. القسم الأول. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط.1. بيروت: المكتبة العصرية، 2004.

ابن منظور، أبو الفضـــل جمال الدين محمد بن مكرم. **لســـان العرب**. ط.1. بيروت: دار صادر، 1300هـ.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق. **الفهرست**. شرح وتعليق: يوسف علي طويل. وضع فهارسه: أحمد شمس الدين. ط.1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1969.

الهمذاني، بديع الزمان، أبو الفضـل أحمد بن الحسـين بن يحيى. **رسـائل الهمذاني**. ط.3. مصر: مطبعة هندية، 1998

ابن هشـــام، أبو محمد عبد الملك. **الســـيرة النبوية**. تحقيق: مصـــطفى الســـقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

الدوريات:

الفجاري، مختار. من أجناس الخطاب الفكري الشـــفوي القديم "تداخل الأنواع الأدبية " مطبوعات جامعة اليرموك. 2009.